



لم يكن الانفصام النكـد بين الشرع والسياسة ولـيد هذا العصر بل كانت بداياته منـذ أزمنة مدـيدة، بل بـذوره كانت منـذ أيام الخلافـة العـباسـية بـسبب تـقصـير حـملـة الشـرـيعـة في إيجـاد حلـول شـرـيعـة للـنـواـزل المـسـتـجـدة مما أدى بالـسـاسـة لـلـحـكم بالـرأـي المـخـالـف لـلـكـتاب وـالـسـنـة، فـكانـت السـيـاسـة غـيرـالـشـرـيعـة.

وقد بينـتـ هذهـ الحـقـيقـةـ ابنـ تـيمـيـةـ فـيـ كـلامـ نـفـيسـ، قـالـ رـحـمـهـ اللـهـ فـيـ ((ـمـجـمـوعـ الـفـتاـوىـ))ـ (ـ20ـ /ـ 392ـ -ـ 393ـ)ـ:ـ ثـبـتـ فـيـ الصـحـيـحـ عـنـ رـسـوـلـ اللـهـ -ـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ -ـ أـنـهـ قـالـ:ـ إـنـ بـنـيـ إـسـرـائـيلـ كـانـتـ تـسـوـسـهـمـ الـأـنـبـيـاءـ، كـلـمـاـ مـاتـ نـبـيـ قـامـ نـبـيـ، وـأـنـهـ لـاـ نـبـيـ بـعـدـيـ، وـسـيـكـونـ خـلـفـاءـ يـكـثـرـونـ".ـ قـالـوـاـ:ـ فـمـاـ تـأـمـرـنـاـ؟ـ قـالـ:ـ أـوـفـواـ بـيـعـةـ الـأـوـلـ، وـأـعـطـوـهـمـ حـقـهـمـ؛ـ إـنـ اللـهـ سـأـلـهـمـ عـماـ اـسـتـرـعـاهـ"

فـلـمـ صـارـتـ الـخـلـافـةـ فـيـ وـلـدـ الـعـبـاسـ وـاحـتـاجـواـ إـلـىـ سـيـاسـةـ النـاسـ وـتـقـلـدـ لـهـمـ الـقـضـاءـ مـنـ تـقـلـدـهـ مـنـ فـقـهـاءـ الـعـرـاقـ، وـلـمـ يـكـنـ مـاـ مـعـهـمـ مـنـ الـعـلـمـ كـافـيـاـ فـيـ السـيـاسـةـ الـعـادـلـةـ:ـ اـحـتـاجـواـ حـيـنـئـذـ إـلـىـ وـضـعـ وـلـاـيـةـ الـمـظـالـمـ، وـجـعـلـوـاـ وـلـاـيـةـ حـرـبـ غـيرـ وـلـاـيـةـ شـرـعـ، وـتـعـاظـمـ الـأـمـرـ فـيـ كـثـيـرـ مـنـ أـمـصـارـ الـمـسـلـمـينـ؛ـ حـتـىـ صـارـ يـقـالـ:ـ الـشـرـعـ وـالـسـيـاسـةـ، وـهـذـاـ يـدـعـوـ خـصـمـهـ إـلـىـ الـشـرـعـ وـهـذـاـ يـدـعـوـ إـلـىـ السـيـاسـةـ، سـوـغـ حـاكـمـاـ أـنـ يـحـكـمـ بـالـشـرـعـ وـالـآـخـرـ بـالـسـيـاسـةـ.

وـالـسـبـبـ فـيـ ذـلـكـ أـنـ الـذـينـ اـنـتـسـبـوـ إـلـىـ الـشـرـعـ قـصـرـوـاـ فـيـ مـعـرـفـةـ الـسـنـةـ، فـحـارـتـ أـمـرـوـرـ كـثـيـرـةـ:ـ إـذـاـ حـكـمـوـاـ ضـيـعـوـاـ الـحـقـوقـ وـعـطـلـوـاـ الـحـدـودـ؛ـ حـتـىـ تـُـسـفـكـ الـدـمـاءـ، وـتـؤـخـذـ الـأـمـوـالـ، وـتـُـسـتـبـاحـ الـمـحـرـمـاتـ، وـالـذـينـ اـنـتـسـبـوـ إـلـىـ السـيـاسـةـ صـارـوـاـ يـسـوـسـوـنـ بـنـوـعـ مـنـ الرـأـيـ مـنـ غـيرـ اـعـتـصـامـ بـالـكـتـابـ وـالـسـنـةـ، وـخـيـرـهـمـ الـذـيـ يـحـكـمـ بـلـاـ هـوـيـ وـتـحرـىـ الـعـدـلـ، وـكـثـيـرـهـمـ يـحـكـمـونـ بـالـهـوـيـ وـيـحـابـونـ الـقـوـيـ وـمـنـ يـرـشـوـهـمـ وـنـحـوـ ذـلـكـ.

وـكـذـلـكـ كـانـتـ الـأـمـصـارـ الـتـيـ ظـهـرـ فـيـهـاـ مـذـهـبـ أـهـلـ الـمـدـيـنـةـ يـكـونـ فـيـهـاـ مـنـ الـحـكـمـ بـالـعـدـلـ مـاـ لـيـسـ فـيـ غـيرـهـاـ مـنـ جـعـلـ صـاحـبـ الـحـرـبـ مـتـبـعاـ لـصـاحـبـ الـكـتـابـ مـاـ لـاـ يـكـونـ فـيـ الـأـمـصـارـ الـتـيـ ظـهـرـ فـيـهـاـ مـذـهـبـ أـهـلـ الـعـرـاقـ وـمـنـ اـتـبـعـهـمـ، حـيـثـ يـكـونـ فـيـ هـذـهـ وـالـيـ الـحـرـبـ غـيرـ مـتـبـعـ لـصـاحـبـ الـعـلـمـ، وـقـدـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ كـتـابـهـ:ـ {ـلـَقـدـ أـرـسـلـنـاـ رـسـلـنـاـ بـالـبـيـنـاتـ وـأـنـزـلـنـاـ مـعـهـمـ ...ـ}ـ الـآـيـةـ

فقام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر: {وَكَفَى بِرِّيكَ هادِيًّا وَتَصِيرًا}.

ودين الإسلام أن يكون السيف تابعاً للكتاب، فإذا ظهر العلم بالكتاب والسنّة وكان السيف تابعاً لذلك كان أمر الإسلام قائماً، وأهل المدينة أولى الأمصار بمثل ذلك، أما على عهد الخلفاء الراشدين؛ فكان الأمر كذلك، وأما بعدهم؛ فهم في ذلك أرجح من غيرهم، وأما إذا كان العلم بالكتاب فيه تقصير وكان السيف تارة يوافق الكتاب وتارة يخالفه؛ كان دين من هو كذلك بحسب ذلك.

صفحة الكاتب على فيسبوك

المصادر: